عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد02 - ديسمبر2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239 /2319-021-002-001(DOI)

أساطير الأوبئة في ثقافات بلاد ما بين النهرين

Epidemic myths in the cultures of Mesopotamia

أ.د. محمد بن عبد المومن *
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية/ جامعة وهران1/ الجزائر
hmoumene31@gmail,com

تاريخ الاستقبال: 2022/08/31 تاريخ المراجعة: 2022/09/05 تاريخ القبول:202/10/03

الملخص:

تعتبر أساطير بلاد ما بين النهرين من الموضوعات الهامة التي تروي تفاصيل مختلف التطورات التاريخية والحضارية التي عرفتها المنطقة، وفي هذا البحث تم تتبع نماذج من الأساطير التي تحدثت عن الأوبئة، وأسباب انتشارها بهذه الرقعة الجغرافية من العالم القديم، والدور الذي لعبته المعبودات في انتشارها، والوقوف على مضامينها التي أولت اهتماما بموضوع الدراسة.

يلاحظ من خلال البحث في الأساطير ومضامينها المتعلقة بموضوع الأوبئة، إن محتوى البعض منها قد تطرق لتفاصيل عن مصير البشر الذين كانوا مصدرا للضوضاء، وإزعاجهم للمعبودات كيف عاقبتهم بنشر الوباء فيما بينهم، ومعاقبتها لأولئك الذين لم يلتزموا بنصوص الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة فيما بينهم، وكشفت محتوياتها أيضا لنصوص ترصد الإجرام الكونية للإعلان عن زمن انتشار الوباء، كما استشهدت بنماذج عن محتوى الأساطير التي كانت لها علاقة بانتشار الوباء بين سكان بلاد ما بين النهرين.

* أ.د. محمد بن عبد المؤمن، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 1.

الكلمات المفتاحية: أساطير؛ ما بين النهرين؛ وباء؛ معبودات؛طاعون.

Abstract

The myths of Mesopotamia are considered one of the most important topics in this research, which deals with the causes of the spread of epidemics in this geographical area of the ancient world, and the role of deities in it, has been traced.

by researching in the myths of Mesopotamia, and the implications of the deities linked to the theme of epidemics, the fate of humans who were a source of noise, and who disturbed these deities, the latter punished them by spreading the epidemic among humans , and punished in the same way those who did not respect the texts of the agreements and treaties, and also revealed the content of the myths the cosmic surveillance for the Declaration the moment of the spread of the epidemic, this study and followed by examples of the myths whose content was connected with the spread of the epidemic among the inhabitants of Mesopotamia.

Keywords: Myths ; Mesopotamia ; plague ; deities ; plague.

مقدمة:

ساهم التدوين ببلاد ما بين النهرين في الكشف عن انتشار الأوبئة والأمراض بين سكان هاته الحضارة ، فوردت نصوص الأساطير مبينة دور المعبودات في تسليطها للأوبئة على البشر، وفي حالات نقض المعاهدات والمواثيق، كما خلف لنا هذا النوع من التدوين الاعتقاد في رصد الأجسام الكونية لتحديد انتشار الوباء.

أسباب اختيار الموضوع: من بين الأسباب التي رأيتها ضرورية لدراسة هذا الموضوع، هو الأثر البالغ الذي خلفته هذه الأوبئة لأن تنسج لها أساطير لا تختلف في أهميتها عن أساطير التكوين، والتأسيس في الحضارات القديمة، وكيف ساهمت هذه الأوبئة في انهيار الجيوش وتراجعها.

إشكالية الموضوع: تتمحور إشكالية هذا البحث في الكشف عن سؤال محوري يتمثل في: كيف أثرت الأوبئة والأمراض في نسج الموروث الأسطوري ضمن ثقافات بلاد ما بين النهرين؟

منهج الدراسة: نظرا لطبيعة موضوع هدا البحث تم الاعتماد على المنهج التاريخي القائم على وصف ظاهرة انتشار الأوبئة وتحليل أسبابها والوقوف عند آثارها. هذا مع استخدام المنهج المقارن من أجل إيجاد العناصر المشتركة بين ثقافات بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة في تحديد الأسباب والأنواع.

1/أسباب انتشار الأوبئة من خلال أساطير بلاد ما بين النهرين:

عملت مجتمعات بلاد ما بين النهرين على خلق قصص خاصة للإجابة على ما لا يمكن تفسيره، فشملت مجموعة من القصص التقليدية من مختلف الثقافات التي كانت موجودة، وظهرت في شكل أعمال أدبية، فاستخدمت كأدوات سياسية ودعائية، أو لتفسير الظواهر الطبيعية، والغيبية، ومعاقبة البشر المقصرين تجاه المعبودات، والمخالفين للمواثيق، وبالتالي نجد أن هذه الأساطير لم تغفل موضوع الأوبئة، وأسباب تفشيها، التي أرجعتها للضوضاء التي تسبب فيها البشر، أو لعدم الالتزام بالمواثيق والمعاهدات، كما تضمنت مواضيع ذات طابع كوني عند ترصد انتشار الأوبئة، وتضمنت أيضا انهزام الجيوش نتيجة انتشار الأوبئة.

2/أساطير غضب المعبودات:

ورد ضمن أدبيات بلاد الرافدين وبالأخص محتوى مجموعة من الأساطير على أن أسباب الأمراض والأوبئة التي سلطت على الساكنة أنداك مرجعها هو غضب المعبودات على السكان، فكانت هذه الأخيرة غالبا ما تسلط عليهم الأوبئة والأمراض، فاستعانت بالشياطين، والأرواح الشريرة لتنفيذ انتقامها، فجندتها لنشر الامراض، والطاعون بين البشر(ماجد الحبوبي، 2010،ص 96) مثلما ورد إلينا ضمن إشارات النص التالي:

" ... لقد وضعنا "اساكاكو" في جسدك ليعذبك، وقدرنا لجسدك مصيرا سيئا، وأدخلنا إلى جسدك مرضا...."، وفي السياق نفسه يكشف لنا التراث الأدبي الرافدي كيف جنّد المعبود "نرجال" كل من الشياطين" نامارتو- Namartu"، و" رابيزو- Rabisu" ليصيب

البشرية بالأمراض الخبيثة والطاعون(محمد خطاب،2020، ص.74).

وتضمنت هذه الأساطير أيضا كيف كانت تبعث المعبودات مجوعة من شياطين العالم السفلي لتسيطر على جسد الإنسان، وتفصل في مهمتها لإصابة جسد الإنسان بالعلّة التي تؤدي لموته، وفي ذلك تشير الأسطورة لما يلي: " ... سيطر " نمارتو Nammartu" الشرير على رأسه، سيطر " أوتوكو- Utukku"الشرير على عنقه، سيطر " آلو- ALU" الشرير على صدره، سيطر " أطمو- Etemmu" الشبح على كثفه، سيطر " قالو-Gallu " على يده، سيطر " رابيزو- Rabisu"على قدميه، لقد غطوا الرجل كالشبكة"(Kostantopoulos,2015,p.254) ، يستنتج من هذا النص، مكانة المعبودات في المجتمع الرافدي القديم، ودورها في نشر الأوبئة على المتسببين في الضوضاء خاصة، او الغير ملتزمين بالمواثيق والمعاهدات مثلما سنتطرق له ضمن هذا البحث، وكذلك تبين لنا مرجعية الأساطير لمعرفة المتسبب في كل من جسد الإنسان.

وفي نص أسطوري آخر نجد المريض ببلاد الرافدين يرجع إصابته المرضية لعدم التزامه الديني، وعدم احترامه للنظام العقائدي الذي سنّته المعبودات، ويظهر ذلك جليا ضمن نص اعتراف أحد المرضى بقوله : "... إذا كنت مريضًا، هذا يعني أنني معاقب، وإذا تمت معاقبتي، فهذا يعني أنني لم التزم أو أنني قد انتهكت بعض المحظورات تجاه المعبودات..."(HECKEL,2013,p.34) ، وفي نص آخر يرد إلينا اعترافات مريض بالخطأ الذي اقترفه مما أدى لمرضه، إذ يقول: "... أنا خاطئ لذلك أنا مريض...."(بويه،1981، ص.58) ، مما يدل على ضرورة الالتزام بالآداب الاجتماعية، واحترام المعبودات لكي يتجنب الفرد الإصابة بالوباء والمرض، واعتبار المصابين من الأفراد المخالفين للشرع العقائدي الذي فرضه مجمع المعبودات.

3/أساطير تسليط المعبودات للأوبئة لعدم الالتزام بالمواثيق والمعاهدات:

كان لنقض المعاهدات والاتفاقيات بين ملوك بلاد الرافدين، وعدم الالتزام بها حتى بين الأفراد الآثار السلبية على المجتمعات، وصحة الإنسان، وبحكم ان المعبودات كانت راعية للمواثيق والمعاهدات، لذلك اعتبر المخالفين لها يمثل طعنة ضدها، لذلك

نجدها تنتقم منهم عن طريق هزم الجيوش، أو نشر الأوبئة والأمراض، مثلما تشير إلى ذلك المعاهدة التي عقدها الملك "آشور نيراري الخامس" 754-745ق.م، مع "ماتع-إيلو" حاكم مدينة (أرباد) والتي تضمنت ضمن إحدى بنودها أنه في حالة نقض هذا الأخير للاتفاق فإن العقاب الإلهي سينزل عليه مثلما يبينه النص التالي: "... عسى أن ينقطع نسل "ماتع – إيلو" كالبغل... عسى أن تصبح زوجاته عاقرات ... عسى أن تسلبهم "عشتار"، معبودة الرجال، وسيدة النساء... "(محمد صالح،1976، ص.144) ، أما عقوبتها في حالة مخالفة هذه المعاهدات والمواثيق وردت العقوبات الوبائية التي مست حتى الجيوش، والأفراد مثلما نردها مختصرا من مضمون إحدى الأساطير مفاده أن " أوتع- Uate" نقض عهده مع "اشور بنيبال 669-627 ق م" فأصيب هو وجيشه بطاعون "ايررا"(الكيلاني و الالوسي، 2016، ص.31). كما ساد الاعتقاد بين سكان بلاد الرافدين أن هذا العصيان والانقلاب على الحاكم سيؤدي حتما لتفشي المرض، ففي نص عائد للملك "آشور بأنيبال" الذي كشف عن تمرد أخيه "شمش شوم أوكين" عليه عام 652 ق. م، مما أدى إلى إصابته بالوباء، مثلما نجزه ضمن مقتطف من نص الأسطورة التالي : "... إلى ذلك الذي دبر الشر ضد "آشور بانيبال" وأثار العداء عليه، سينزل عليه الموت من خلال تفشي وباء الطاعون..."(الدوري، 2011،ص.112).

ولم تسلم الجيوش من الطاعون في مثل في العديد من الحالات، منها غضب المعبود "إيرارا" على " أوتع" وجنوده، ويشير نص من سلسلة " شوربو" إلى خطايا الإنسان الدينية كالإساءة للمعبودات، أو لأكل محرم، أو لعدم حضور طقس معبود، أو لعدم احترام معبود، إلى جانب ذنوب أخلاقية يتعرض لنتيجتها البشر للأوبئة والأمراض مثل الكذب، ومعاندة السيّد، وإثارة العداوة بين الأهل، وعند تزييف علامات الحدود، والغش في الموازين، لذلك نجد مضامين النصوص الأسطورية تكشف التذلل، والتوسل في الصلوات للمعبودات لغرض رفع الأذى والمرض عنها، مثلما تبينه إحداها: " ... أنا "شمس شوم أوكن - Samas Sum Ukin"

أن عبدك حزين، ومعذب، ومتألم

إغضاب المعبود، حزن طاغ، ونار، ومرض خبيث.....، وجع مميت يخيّم علي....."، وفي صلاة أخرى، نقف أمام العبارات التالية: " ..... فالشقاء، والمرض، والدمار،

والمصائب حلّت بي، ولم يكن أمام الإنسان المذنب إلا أن يعترف بخطاياه بتذلل: إن تعدد إهمالي لا يحصى، سبع وسبع مرات متعددة من خطاياي...."(عدنان يحي، 2010، ص ص.29-33) ، ويستخلص من هذه الصلوات كيف أنّ معبود الإنسان يسلط عقابه على الفرد المذنب، والمستنتج كذلك أنه كلما تخلى المعبود عن الفرد فإنه سرعان ما يقع ضحية المرض، ولعل أفضل ما يصور ذلك مضمون قصيدة "أيوب البابلي" أو "أمجد رب الحكمة" وفيها يقول الشخص المريض ما يلي:

" ... لقد تركني معبودي، واختفى إلى الابد ...

وخذلتني معبوداتي، وابتعدت عني ...

ذهبت صحتي الجيدة، واختفت كل حماية فجأة...."(عدنان يحي،2010، ص.35).

4/نماذج من أساطير الأوبئة:

أمكن لنا الاستفادة من مضامين أساطير بلاد الرافدين للوقوف على مختلف الأوبئة والأمراض التي تفشت بين ساكنة المنطقة، ومن جملتها:

أ.ملحمة "أتراخاسيس- Atrahasis":

هي نص بابلي يعود تاريخه إلى نحو عام 1700 ق.م، ووجدت منها نسخة آشورية في مكتبة الملك "آشور بانيبال" (668-633 ق.م) في العاصمة الآشورية نينوى، ويعتبر محتواها من الأساطير الرافدية التي تضمنت أسباب، وأنواع الأوبئة التي سلطتها المعبودات على البشر، حيث نستشف من نصها الأسطوري أن الأوبئة والأمراض كانت تصيب البشر نتيجة ذنوبهم مثلما جاء ضمن محتواها ما يلي:

"... لم تكد تنقضي ستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس ....

سمع "إنليل" الضجيج فخاطب المعبودات العظام قائلا:

فحرمني ضجيجهم النوم ....

فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس..."(الغانمي،2008،ص.87)

هذا، ويؤكد مضمون هذه الأسطورة قدرة المعبودات على إيذاء البشر وحتى الصفح عنهم مثلما ورد ضمن محتواها: " ... عندما أصبحت البلاد واسعة جدا .... واضطرب نوم

المعبود "إنليل"، وصار ضجيج الناس يزعجه فخاطب المعبودات قائلا : ضجيج الجنس البشـــــــــــري لـــــــــــم يعـــــــــــد يطـــــــــــاق صخبهـــــــــــم يفقـــــــــــدني نـــــــــــومي.... -أعطوا الأمر كي يتفشى فيهم مرض الطاعون....."(الغانمي،2008،ص.87).

بعد موت زوجة "أتراخاسيس" وابنه، حزن عليهما، ثم ذهب إلى معبد "آيا " معترفًا بخطيئته، وطلب الصفح والمغفرة فقال : "..... أنني خادمك قد أخطأت... لم أعد أنطق بالشر..... أتيت إليك .... أن تمحي إساءتي وذنبي وشري وخطيئتي ... "، وفي نص هذه الأسطورة، نستشف ان المعبود "آيا " استمع لشكوى "أتراخاسيس"، فنصحه ببناء معبد للمعبود "نمتار " ويقدم له الهدايا من الدقيق، والخبز، وباستجابته رفع يده عن الناس فزال الوباء، وبازدياد عدد البشر وعودتهم مرة أخرى للضجيج، الأمر الذي أزعج "آنو"، فأمر المعبودة "لكيما" لتمنع سقوط المطر، وخروج المياه الجوفية نحو سطح الأرض، فنتج عن ذلك المجاعات والقحط، فهلك الكثيرون من الجوع.(الماجدي،1997،ص ص. 170-172)

ووفق ما خلفته لنا الأدبيات الرافدية، كثرة الذنوب والخطايا التي ارتكبها الإنسان الرافدي القديم، فإذا ما كان يحاسب ويعاقب الفرد من طرف المعبودات التي كانت تسلط عليه مختلف الأوبئة نتيجة ضجيجهم، مثل الذي أقلق المعبود "إنليل" الذي ورد ذلك ضمن هذه الملحمة.

ب.أسطورة إرّا، و إيشوم:

يعتبر " إرّا" من المعبودات الرئيسية في مجمع معبودات بلاد الرافدين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهو المسؤول عن الحرب والدمار والطاعون وكل أنواع الأمراض السارية. وكان زوجاً للمعبودة "مامي"، أو "ننتو"، إحدى الشخصيات الرئيسة في ملحمة "أتراخاسيس"، وعندما تمت المطابقة بينه وبين "نرجال" معبود العالم الأسفل خلال الألف الأول ق.م، صار زوجاً للمعبودة "أريشكيجال" معبودة العالم الأسفل، أما " إيشوم" فكان مستشارا " إرّا" ، الذي حاول منع هذا الأخير من نشر الطاعون(Dalley, 1989,p.282)

تضمّن نص الأسطورة استخلاف " إرّا" للمعبود "مردوخ" كبير معبودات بابل، الذي ارتفع إلى مقام رئيس مجمع المعبودات البابلية في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، ولاسيما خلال عصر أسرة الملك حمورابي، هذا الأخير الذي أصبح عاجزا للقيام بمهامه، فتكفّل عنه لتأديب البشر. ومن نص الأسطورة حديث " إيشوم" للمعبود "إرّا"، منبها إيّاه، ومشفقا على ما سيحل بالبشر:

"...سيدي "إرًا"، لماذا نويت الشر للآلهة؟ هل نويت على سحق الديار وإهلاك أهلها؟ ألن تعدل عن قرارك؟.... يشعر "إيشوم" بالشفقة على البشر، ويتصدى لسيده "إرّا" قائلاً له: "كيف نويت الشر للآلهة والبشر؟ ...." (Dalley,1989,p.282).

4 – أساطير الفأل الفلكي:

ربط سكان بلاد الرافدين الظواهر الفلكية بحياتهم اليومية، فهنالك عدة إشارات في نصوص الفأل الفلكية تشير إلى ذلك، منها على سبيل الذكر لا الحصر كوكب "المشتري" الذي ربطوا رصد حركته في السماء بما يحدث على الأرض، والتي غالبا ما فسّروها على أنها نذير شؤم، وفي اعتقادهم أنه إذا تم رصد هذا الكوكب في شهر أبريل سينتج عن ذلك الدمار، ويرتفع سعر الشعير، وإذا اقترب هذا الكوكب من "الجوزاء" سينتشر الطاعون. هذا ونعث سكان بلاد الرافدين كوكب "المريخ" على أنه مؤشر لانتشار الشرّ فلقّبوه بعدة صفات، منها "سنوما- SANUMMA" أي العدواني، و" ناكرو - NAKRU"العدو، و"سارو- SARRU" الكذاب، و" لم -LEMM" الشرّير، و" أبو - ABU" الغريب، وأطلق عليه أيضا "موستتارور موتاني- MUTANU MUSTATARRUM "، واستخلص على أنه مؤشر لانتشار وباء الطاعون(النعيمي،2006،ص ص.97-99).

خاتمة:

وفق ما تمّ تداوله من نصوص الأساطير عن انتشار الأوبئة ببلاد ما بين النهرين، يلاحظ أن مجتمعهم يكون قد تأثر بها كثيرا، لما لها من تأثير، فكانت الأساطير تمثل التأسيس لكل ظاهرة في مجتمع بلاد ما بين النهرين، وبحكم أن المعبودات كانت لها القوة الخارقة في هذا المجتمع فضروري أن تنسج لها أساطير، جعلت منها المتسببة في نشر الأوبئة لأسباب عدم احترام المعبودات، وتسبب البشر في الضوضاء، ولعدم احترام المعاهدات، والمواثيق فيما بينهم، وتضمنت أيضا نصوصا تخص عن زمن انتشار الأوبئة بواسطة ترصد الكواكب.

وبالتالي أمكن لنا تحديد وفق هذه الأساطير مجموعة من الأسباب التي كانت وراء معاقبة البشر بالأوبئة والأمراض منها إهمال الطقوس الدينية، وانتشار السرقة، والقتل، والزنا، ونقض المعاهدات والاتفاقات.

-قائمة الببليوغرافيا:

1/جورج بويه،(1981). **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية**، ترجمة سليم الصويص، بغداد: شركة المطابع النموذجية.

2/خَزْعَل الماجدي،(1997) . **إنجيل بابل**. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع.

3/الدوري رياض عبد الرحمن أمين، (2011). **اشور بانيبال :سيرته. ومنجزاته**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

4/عدنان يحي أسامة، (2016). **السحروالطب في الحضارات القديمة**، بغداد: آشور بانيبال للكتاب وبيت الكتاب السومرية.

5/الغانمي سعيد، (2008). **اتراخسيس: ملحمة الخلق والطوفان**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

6/الكيلاني لمياء، الألوسي سالم، (1999). **اول العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد**. لندن: منشورات نابو.

7/ماجد الحبوبي شيماء ، (2010). "الشياطين الشريرة السبعة في بلاد الرافدين". **مجلة التراث العربي**، المجلد 4، العدد 14، ص ص 93-103.

8/ محمد صالح وليد،(1976) . **العلاقات السياسية للدولة الآشورية**. رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق.

9/ محمد خطاب باسم ، (2020)."رسل آلهة العالم السفلي ومكانتها في عقائد بلاد ما بين النهرين". **مجلة دراسات في آثار الوطن العربي**، المجلد 23، العدد 22، 2020، ص ص 59- 86.

10/النعيمي شيماء علي أحمد ،(1427هـ/2006م). **الفلك في العراق القديم من القرن السابع إلى القرن الرابع (ق.م)**. دكتوراه آثار قديمة، جامعة الموصل، كلية الآداب، العراق.

11/Dalley Stephanie,(1989). Myths From Mesopotamia, Creation, the Flood, Gilgamesh, and others, Oxford: Oxford world ‘s Classics.

12/HECKEL Andrey,(2013) . EMERGENCE de la Médecine EN Mésopotamie. thèse troisième cycle générale, faculté de Médecine de Nancy, Université de Nancy.

13/Kostantopoulos, G.V.,(2015). They are seven: Demon and Monsters in the Mesopotamian Textual and Artistic Tradition. PHD, University of Michigan.